أثر العجز

للقصصي الأرمني بارسمان
بقلم الأديب ن . ب . نظاريان

كانت قطع من الأنسجة المحلاة بالرسوم تزين داخل الغرفة بلونها الكستنائى ، وتكسبها نظافة وأناقة . وكانت مائدة مستديرة تغطيها سجادة خضراء تشغل وسط الغرفة ، ومصباح مكال عظلة معدنية تعكس النور الصافى الذى يوشح الأقسام السفلى من الغرفة تاركا زواياها العليا فى ظلمة خفيفة رقيقة

وامرأة فى الأربعين من عمرها كانت جالسة قرب المائدة على أريكة تشغلها بجسمها الممتلئ ، وعلى محياها قسمات حلوة ، وبعض الشعرات البيضاء تبدو بين خصلات شعرها الكستنائى ، وقد اكتسبت شيئا من الفتنة تحت نور المصباح ، ملتمعة كالفضة

وكان رجل فى الخامسة والأربعين من عمره جالسا قبالتها ، وقد التمعت صلعة رأسه كالمرمر ، وعلى قسمات وجهه الحادثة يبدو تهكم خفيف ، دون أن يغير هذا التهكم شيئا من طيب سمته ، وقوة عزيمته البادتين عليه . كان يتصفح كتابا منشورا بين يديه على غطاء المائدة ، ويقلب صفحاته باستمرار وهو يلقى من حين إلى حين نظرة عطف وحنان على زوجته

وفجأة انطلقت منه حركة انزعاج وملل ، فأغلق الكتاب ؛ وتحرك فى جلسته بعد تمهد أرسلها ، واستوى على الأريكة بكل جسمه ملقيا رأسه إلى الخلف

— كفاك يا (سربوهى) ما اشتغلت ، وبالأخص فى الليل ؛ فكثرة الشغل تؤذى عينيك . فلنتحدث قليلا

فرفعت زوجته رأسها دون أن تنصرف عن شغلها اليدوى ، ونظرت إلى زوجها بعينيها السوداوين الواسعتين نظرة عطف وقالت :

— لا عتب على من أن نتجاذب أطراف الحديث . فإن على أن أفرغ من هذه السترة قبل الغد ، لأنها لولدنا (هوسيبيك) .

فقاطعها زوجها قائلا :

— حبيبى (هوسيبيك) ! ثم أضاف : تعرفين يا (سربوهى) أن ولدنا لم يتخط

بعد السادسة من عمره ، وهو يعامل هـذه الفتاة الصغيرة التي تلعب معه بكل احترام وأدب . فكأنه يريد أن يغازلها ، أو يحب أن يدخل معهـا في دور غرامي . آه من الصبية في هذا العصر !

فقالت : لا تتكلم هكذا يا عزيزي . إن الذكور مزودون دائما بتلك الإحساسات بصورة طبيعية . وإن لها علاقة متينة بتكوينهم الجثماني ، فسرعـة نمو الجسم ؛ وتبدل الشعور والإحساسـات تكون سببا لهـذه التصرفات . وكيف كنت أنت في صغرك ؟

فأجابهـا الزوج بشيء من السخرية الغامضة : قائلا لست في الحق أذكر شيئا من عهد الطفولة

وأنت ؟ هل كان لك حبيب (كهوسيبك) في صغرك ؟

فانصرفت المرأة لحظة عن شغلها اليدوي وأخذت تحـدق في نقطة مجهولة ، وعلى ظواهرها تبـدو حالة من يبـذل جهدا لاسترجاع ذكريات قديمة جداً إلى ساحة ذهنه . ثم قالت : وأجفانها تكاد تنطبق بشيء من لذة غامضة ونشوة مجهولة :

— نعم ! كان لي حبيب (كهوسيبك) عندما كنت في الثامنة من عمري . كان أهله يسكنون على بعد عدة دور من دارنا . ولم يكن بين أهلنا اتصـال ولا علاقة . ولكن ولدهم الصغير (أونيك) كان صبياً في العاشرة أو الثانية عشرة من عمره ممتلئاً بالخبث ومعروفا بالحركة والنشاط . في كل مساء بعد عودتنا من المدرسة كنا نلعب ونلهو معا على المرج الأخضر قريب دارنا مع لداتنا من الأولاد . وكان (أونيك) يبدي ميلا تاما نحوي ؛ فكان يأخذ أوضاع المدافع عني ؛ وهو يمنع الأولاد من العبث بي وتعذيبهم إياي ، باسطا حمايته علي . أما أنا فبالرغم من ميله الشديد ، ومظاهر المحبة الحارة نحوي ، كنت أشعر بميل ضعيف نحوه . غير أن التي كانت تعذبني وتسبب لي الألم هي تلك العيـون البراقة ؛ تلك الأحداق الخبيثة السوداء . وكم كنت مشتاقة لمداعبته لتقبيلها . ولكني كنت أتهرب منه كلما أراد الاقتراب مني . فكأني كنت أدلل ، أو أريد أن أكون غالية الثمن عليه في دلالي

سوف تدهش من أن طفلة في الثامنة من عمرها كانت تستطيع أن يكون لهـا إحساسـات دقيقة مرهفة . حقا إن تلك الإحساسات والشعور لا تكون عن معرفة صحيحة أو إدراك تام ؛ ولكن الغريزة كما تظهر شديدة عند الحيوانات تظهر كذلك عند تلك المخلوقات الآدمية الصغيرة كنت أبذل جهـدي لإبراز سحري

وجمالي (لأونيك) المظفر بنظرات الإعجاب منه . وعندما كنا نركض على الحشائش ويطارد بعضنا بعضا كان يلاحقني فاتحا ذراعيه ، ويقبض على . فكنت أصرخ بشدة وأصيح صيحات متقطعة رعبية . كان الصبي المسكين يقف متحيرا دهشا دون أن يفهم سبب صيحاتي ولا سبب هربي منه ومعاملتي له بهذا الشكل ...

وبينما كانت السيدة (سربوهي) غارقة في حديثها . كان زوجها يصغي إليها بكل انتباهه ، وقد وضع مرفقه على طرف الأريكة وأراح ذقنه على كفه

وكانت المرأة تعمل بنشاط ورغبة أكثر من ذي قبل متأثرة من استعادة هذه الذكرى الحلوة البعيدة

واستأنفت قائلة : أحيانا عندما أنظر إلى ولدي (هوسبيك) يخطر على بالي (أونيك) المسكين . أواه ! كأنه هو بالذات : بعينيه البراقتين الخبيثتين ، وبحركاته المليئة بالخفة والنشاط . حتى إنني الآن أؤنب نفسي على تلك المعاملة . وقلبي يتألم من تعذيبي (لأونيك) المسكين . كان عندما يحصل على بعض النقود يشتري بها الحلوى ويقدمها إلى لألتهمها . وكان يتأملني بلذة وفرح ، وأنا ألتهم حلواه . وبعدئذ كان يمد يده وهو يظن أنه كسبني ليقبض على رأسي وهو يقول : — يا حلوتي ! — فكنت أرسل صرخة في الفضاء وأفلت من قبضته هاربة

والأمر الذي ما كان يقبل الشك هو أن ذلك الصبي الصغير كان يشقى ويتألم ؛ ولكن هو نفسه أيضا كان يجهل سبب شقائه بدون شك

وفي ذات مساء بعد أن انصرفنا من المدرسة ذهبت إلى ملعبنا المعهود ، ولم أجد هناك إلا (أونيك) وكان الأولاد الآخرون قد تأخروا عن الحضور . أردت أن أعود إلى الدار تاركة (أونيك) وحده ، غير أنه تقدم إلى وبين يديه قطعة من الورق مليئة بالحلوى . قدمها إلى ، وكانت عيناه تلمعان أكثر من أي وقت مضى . وهو يراقبني بشيء من الشوق والرغبة . بينما كنت ألتهم الحلوى واحدة تلو الأخرى غير شاعرة بتلك اللذة التي كنت أحسها له . فكم كنت مشغولة بالتهام الحلوى حتى أني لم ألاحظ كيف أن الملعون قد اقترب مني شيئا فشيئا . وفجأة شعرت بضغط حول عنقي ، وإذا بشفاه ندية حارة قد التصقت بخدي ، وسيل من القبلات أخذ ينهمر عليه . ماذا حدث في تلك اللحظة ؟ أردت أن أصيح ، وأصرخ ، لكني لم أستطع حتى كدت أن أختنق ،

فأخذت أحرك ساعدى لأفلت من ذلك الضغط ، ومن تلك القبضة . وأخيراً تركنى وانطلق يعدو . فالتهب الغيظ فى نفسى . ولم أدر كيف أصنع . أخذت حجراً من الأرض وشرعت فى مطاردته حتى اقتربت منه فقذفت رأسه بالحجر فإذا صرخة أليمة تنطلق منه ، وإذا به يقبض على رأسه بكلتا يديه والدم يسيل . أما أنا فلم يكن منى إلا أن أسرعت فى الهرب ، ولم تطأ قدماى ذلك المكان بعد ذلك أبداً

وبعد مدة قصيرة من الزمن غادرنا تلك القرية إلى مكان آخر . وحتى الآن لا تزال صرخة حبيبى (أوبك) الأليمة تدوى فى أذنى ! فكم شتمنى ولامنى يا ترى ! ولكن هذه الذكريات هى أحلى ذكريات طفولتى

كانت عينا سعيدة (سريوهى) السوداوان الدبقتان بالمرح متجهتين نحو زوجها شىء من الحزن البادى على محياها

وفى ذلك الحين نهض زوجها من مكانه وقد أشرق وجهه بابتسامة حالمة ، وتقدم نحو زوجته بعد أن أحنى رأسه أمامها وهو يرفع الشعر عن قفاه ويقول :

أترين هذه العلامة البيضاء ؟

وبينما كانت الزوجة تحدق فى العلامة دهشة ، قال زوجها :

إنها أثر ذلك الحجر الذى قذفتنى به

ن . ب . نظاربارة

آلام فرتر

هى القصة العالمية الواقعية الخالدة للشاعر الفيلسوف « جوته » الألمانى

للأستاذ أحمد حسن الزيات

ثمنها ٢٥ قرشاً عدا أجرة البريد